١- المرأة المصرية بين الثابت والمتغيـــــــر
قضية تعليم المرأة وإلحاقها بالعمل

على الرغم من ان المرأة المصرية تعد امتدادا لتاريخ عريـق حققـت فيـه مكانـة اجتماعية مرموقة خاصة وأنها كانت من أوائل النساء فى التاريخ التى مسكت بالقلم والأوراق والدواة والقرطاس لتكتب وتقرأ وتتعلم ، فإن قيود العادات والتقاليد التى كبلتها فـى بـدايات العصر الحديث جعلتها حبيسة "الحرملك" لا تخرج منه سوى مرتين مرة من منزل والدها إلى بيت زوجها، ومرة أخرى إلى قبرها، كما كان ينظر إليها على أنها أداة من أدوات متعة الزوج ولإنجاب الأطفال له وكان أغلبهن يشتكين من التخمة وعسر الهضم نظرا لإكثراهن من تناول الأطعمة الدسمة مع قلة الحركة.

وبالرغم من إنتشار الجهل والخرافات بين النساء لدرجة أصبحت معها المرأة لا تؤمن إلا بالجن ولا ترتاح إلا بالأحجبة والتمائم التى تكتب منعا للعفاريت، وإقامة حلقات الزار وكشف الغيب بقراءة الكف وفناجين القهوة وزيارة أولياء الله الصالحين.[١] فإن هذه الأوضاع الاجتماعية بدأت فى التغير تدريجيا مع المتغيرات السياسية التى طرأت على مصر منذ عصر محمد على، فموضوع الحجاب وقضاء الساعات الطوال خلف المشربيات،

لمشاهدة المارة دون أن يتمكن الرجال من رؤيتهن[٢]، وفكرة تعليم الفتاة والدعوة إلى دخولها معترك الحياة كانت من القضايا التى أثيرت على استحياء بعد إيفاد محمد على للبعثـات إلـى أوربا حيث حظيت هذه القضايا باهتمام كبير خاصة بعد أن رأى المبعوثون المركز الذى بلغته المرأة الأوربية بعد أن نالت قسطا من التعليم فحملوا ذلك إلى وطنهم، وتمنوا للمرأة المصرية مركزا شبيها لها فقام رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك بالدعوة إلى تعليم المرأة، فدعا رفاعـة عضو البعثة التعليمية إلى فرنسا عام ١٨٢٦ والذى بهره ما شاهده فى بـاريس مـن تحـرر للمرأة الأوربية إلى ضرورة النهوض بالمرأة المصرية بشـكل يـربط بـين مفـاهيم الفكـر

---

(١)أحمد خاكى: المرأة فى مختلف العصور، ص ١١٤.
(٢)ستانلى لين بول: سيرة القاهرة- ترجمة حسن ابراهيم وآخرون، ص ٣٥- ٣٦.

الاسلامى، وروح العصر فأوضح أن الاسلام لا يمنع المرأة من حقها فى التعليم، بل جعل طلب العلم فريضة، وأمرا واجبا، كما خصص فصلا فى كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" أوضح فيه أن تعليم البنات يساعد على تنوير عقولهن بمصباح المعارف ويكون المرشد لهن فى أمور الحياة حيث يؤدى إلى فتح آفاق المعرفة أمام الفتاة حتى تزداد أدبا وعقلا وقد اشترط رفاعة أن يقتصر تعليم الفتاة على القراءة والحساب، وبعض الأمور المنزلية مثل الحياكة والتطريز لما فى ذلك من فائدة لها ولأسرتها ولمجتمعها[١]، كما أوضح أنه لا يمانع فى عمل المرأة عند الاقتضاء لأن هذا العمل يصونها "عما لا يليق بها ويقربها من الفضيلة" فإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء". وهكذا كان رفاعه أول من دعا إلى تعليم وعمل المرأة حيث سبقت دعوته هذه قاسم أمين بحوالى نصف قرن من الزمان وقد تبع رفاعه فى هذه الدعوة على باشا مبارك عضو بعثة الانجال إلى باريس عام ١٨٤٤م ومن الرواد الأوائل الذين شغلوا بقضية تعليم المرأة والذى حاول أن يوفق بين الآراء الحديثة والتقاليد الاسلامية فذكر أن من حق المرأة التزود فى العلم إلى غايته، وإلا تقف عند حد تعلم القراءة والكتابة بل يجب أن تتبحر فى العلوم عموما حتى تزداد محاسنها المعنوية، وتكون خير سند ومعين للرجل كما رأى ضرورة أن تتمرن المرأة على أصول حسن تربية الأطفال وتدبير المنزل وأشغال الخياطة والتطريز[٢]، وإلى جانب ذلك فقد شارك على مبارك رفاعة الطهطاوى القول فى أن الأدب والثقافة والتعليم يزيد من التقارب الثقافى والذهنى بين الرجل وزوجته وإن الإسلام شرع للمرأة حق التعليم فى اطار الحشمة والالتزام الأخلاقى فى المجتمع كالرجل تماما ويبدو أن خروج المرأة المصرية إلى مجال العمل قد سبق ذهابها إلى دور العلم، والدليل على ذلك أنها شاركت رغم قيود التقاليد فى إنجاح خطة محمد على لبناء دولته الحديثة حيث نزلت إلى العمل وتم الاعتماد عليها لسد النقص فى العمالة فى مصانع الغزل والنسيج، وفى المزارع والعمل بالفلاحة ورعاية الزرع، وحصد المحاصيل

---

(١)للتفاصيل أنظر: المرشد الأمين للبنات والبنين، ص ٦٦-٦٩.

(٢)تحدث على مبارك فى احدى مسامراته فى كتابه علم الدين عن تعليم المرأة كما تطرق إلى ذلك فى كتابه طريق الهجاء والتمرين على القراءة فى اللغة العربية، انظر، جـ٢، ص ١١٧.

نساء وأطفال من الطبقة الفقيرة -

خاصة عند ذهاب الرجال إلى التجنيد، أو خروجهم لأعمال الـرى، وبـذلك عرفـت المـرأة المصرية لأول مرة الوظيفة الرسمية.

أما بالنسبة لتعليم المرأة المصرية فعلى الرغم من أن تعليم البنات كـان لـدى عامـة المصريين فى ذلك الوقت من الأمور غير المرغوبة لزعمهم أن البنت إذا تعلمت وتثقفت يمكن أن يتسبب عنه إفساد أخلاقها[١]، فإن محمد على حاول اختراق التقاليد الجامـدة بتعلـيم المرأة فافتتح لها مدرسة للولادة[٢]، ثم جاءت دعوة رفاعة وعلى مبارك لتعليم المـرأة، ومـع أنها لم تأت أكلها فى عهد عباس الأول وسعيد فإنها آتت ثمارها فى عصر الخديو إسماعيل[٣]، فلم يمض على حكمه أربع سنوات حتى كان التفكير فى تعليم البنات إذ تكونت

فى ٢١ مارس ١٨٦٧م لجنة للنظر فى شأن إنشاء مدارس للبنات، ونتيجة لتعثر تنفيذ المشروع ترك الخديو أمور تعليم المرأة لزوجاته فتقدمت زوجته الثالثة الأميرة "جشمه آفت هانم افندى" إلى هذا الميدان ووظفت أموالها فى سبيل تعليم الفتيات المصريات فدفعت مبلغا كبيرا لشراء قصر قديم فى منطقة "السيوفية" وأمرت بتحويله إلى مدرسة للبنات تضم مائتى تلميذة للقسم الداخلى، ومائـة أخرى للقسم الخارجى[٤]، وقد أفتتحت هذه المدرسة فى ١٨٧٣/٨/٣ باسم مدرسة السيوفية[٥]، التى تغيرت اسمها بعد ذلك إلى المدرسة السنية، كما شجعت هذه الأميرة الأسر المصرية على إرسال بناتها إليها مما ساعد على نجاح هذه المدرسة فى تأدية رسالتها، وأدى إلى أن يخطـو تعليم الفتاة خطوات لم يعد بعدها مجالا للرجوع إلى الوراء، وخلال هذه الفترة ظهر فى حياة مصر الاجتماعية الأميرة "نازلى فاضل" التى افتتحت فى منزلها صالونا أدبيا ضم كبار رجال الفكر والسياسة أمثال جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وسعد زغلول وقاسم

---

(١)عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ص ٣٨٢- ٣٨٣.

(٢)للتفاصيل أنظر: عبد المنعم الجميعى: المرأة المصرية فى عصر الجبرتى، ص ٢.

(٣)جاءت البعثات الدينية من الرهبان والراهبات كجماعة الجزويت والفرير إلى مصر وأسسوا المدارس للبنات والبنين، والتحق بهذه المدارس فى أول الأمر الفتيات القبطيات والأسرائيليات وتبعهن الفتيات المسلمات من الطبقة العليا.

(٤)درية شفيق وابراهيم عبده: تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد محمد على إلى الفاروق، ص ٤٦- ٤٨.

(٥)أحمد شفيق: أعمالى بعد مذكراتى، ص ٣٥٢، وقد بلغ عدد تلميذات هذه المدرسة خمسون تلميذه، وكانت مدة الدراسة بها خمس سنوات تتعلم فيها الفتيات بجانب اللغتين العربية والتركية بعض المعلومات عن جغرافية وتاريخ مصر وعلم الحساب والرسم وأشغال الإبرة.

أمين وغيرهم من أعلام النهضة الفكرية وقتئذاك ونوقشت فيه مسائل الإصلاح الاجتماعى وأحوال المرأة المصرية[١]، مما ساعد على بروز الدعوة لأهمية تعليم المرأة المصرية.

وهكذا كانت دعوة رفاعة وعلى مبارك بداية لانطلاقه تدعو إلى تعليم المرأة، والتى حملها بعد ذلك جمال الدين الافغانى وتلاميذه أمثال محمد عبده وعبد الله النديم، فنادى الافغانى بتعليم المرأة من منطلق أن الإسلام أمر بتعليمها العلم النافع الذى يتفق مع طبيعتها حيث أن الشرع أباح لها أن تتعلم ما ينفعها فى أمور دينها ودنياها، كما أوضح أن تكوين المرأة العقلى يساوى الرجل، فليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس وإن التفاوت بينهما لم يأت إلا من التربية، وبالرغم من ذلك فقد رفض الأفغانى مساواة الرجل بالمرأة فى كل شئ حيث أن لكل منهما وظيفته أما بالنسبة لعمل المرأة فقد رأى الأفغانى أنه لا مانع أن تعمل المرأة إذا فقدت عائلها واضطرتها ظروفها إلى ذلك.[٢]

وبالنسبة للشيخ محمد عبده فقد أوضح حق المرأة فى التعليم لمواجهة متطلبات الحياة بما يتمشى مع منطلق الإسلام مركزا على أن الهدف من تعليمها هو خدمة أسرتها، وحتى تستطيع تربية أولادها، وتكوين جيل صالح يخدم الأمة، وأنه من الجرم الصارخ أن تترك النساء المسلمات حبيسات سجن الجهل والتخلف.

أما عبد الله النديم فقد طالب بتعليم المرأة فى إطار اسلامى ونادى بأن يقتصر تعليمها على أمور الدين، والتدبير المنزلى وشئون الأسرة وأمور المنزل والحياة الزوجية وعارض تعليمها الموسيقى والرقص واللغات الأجنبية.[٣]

ولم تلبث الأمور أن تعقدت فى الفترة الأخيرة من حكم إسماعيل وتحرجت الأحوال، وأوشكت الدعوة إلى تعليم المرأة أن تخمد او تنتهى إلى غير عودة نتيجة للأزمة المالية التى حاقت بمصر ثم جاءت الثورة العرابية وأعقبها الاحتلال الانجليزى فتباطأت حركة النهضة فى سيرها، وشغل المصريون بمشاكلهم وتعثر تعليم الفتاة فى خطاه، فلم تفكر الحكومة فى

---

(١)عبد المنعم الجميعى: صالون الأميرة نازلى فاضل ، دراسة ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث، ص ٢٥- ٣٨، وانظر أيضا كتاب Ronald Storrs: Orientations . London, 1937

(٢)أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، ص ١١٤.

(٣)سلافة النديم مقال لعبد الله النديم تحت عنوان: "مدرسة البنات" وانظر أيضا عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٢- ٣٨٣.

رفع تعليم الفتاة إلى أبعد من مقرر الشهادة الابتدائية وبعض القشور بمدارس المعلمات[١]، وظلت الجهود الحكومية مقصورة على مدرستين ابتدائيين هما السنية وعباس إلى أن وضع نظام لمجالس المديريات تأسست على أساسه مدارس ابتدائية للبنات فى عواصم المديريات ومدارس معلمات أولية وأستمرت الأمور على هذا المنوال حتى برز بعض المفكرين الذين نادوا بضرورة الاصلاح، ويشاء القدر ان يهيئ للمرأة أنصارا كان على رأسهم "قاسم أمين" الذى كانت دعوته إلى تحرير المرأة بمثابة الصحوة الكبرى واحدى ثمرات العصر الذى عاش فيه فقد ارتبطت دعوته بتحرير المرأة من قيود الجهل، ونادى بضرورة تعليم المرأة وإزالة النظم العتيقة التى قيدت حريتها وهبطت بمكانتها حتى يمكنها النهوض بمسئولياتها تجاه نفسها ومجتمعها، وتكون قادرة على مواجهة مشكلات وضرورات الحياة لأنه لا سبيل إلى نهوض البلاد إلا بإصلاح أحوال الأسرة بما فيها من رجال ونساء، وعندما نشر قاسم أمين كتابه الأول "تحرير المرأة" فى عام ١٨٩٩م الذى برأ فيه الدين من استعباد المرأة وجمع فيه كل ما استطاع أن يجمعه من الأسانيد التى تقوم ضد الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق وان من حقوق المرأة ان تتعلم وتزاول عملا إذا اضطرت إلى ذلك- واجه موجه من الاستنكار والنقد العنيف، كما انتصرت لآرائه بعض الصحف وقليل من المؤيدين وبالنسبة للموقف الأول فقد اعتبر العلماء دعوته خروجا عن الدين، ووصف احدهم دعوته بانها "تدليس ابليس" كما اتخذ مصطفى كامل وطلعت حرب موقف المعارض لآراء قاسم أمين بالنسبة لترك المرأة لحجابها أما بالنسبة للتعليم فكان لهما مواقف أخرى فقد حمل عليه مصطفى كامل كثيرا على خلع المرأة للحجاب موضحا ان الحرية المطلقة تفسد المرأة وتزيل عنها الأخلاق الفاضلة، وانه لا ينبغى للمرأة المصرية ان تذهب فى محاكاة المرأة الأوربية إلى حد تقليدها فى ترك الحجاب، أما بالنسبة لتعليم المرأة فان مصطفى كامل لم يلتزم بخط المعارضة البحتة لتطور المرأة حيث سمح بتعليمها ولكن إلى حد معين.[٢]

(١)الهلال: مجلد ١٩٣٧، مقال للأستاذ يوسف مظهر بعنوان : " تعليم الفتاة بين الأمس واليوم"، ص ٧٠١- ٧٠٤.

(٢)انظر اللواء: فى ٢٤ يناير ١٩٠١ تحت عنوان: "المرأة الجديدة".

أما بالنسبة لطلعت حرب فقد كان موقفه شبيها بموقف مصطفى كامل، فقام بالرد على قاسم أمين فى الصحف[١]، كما قام بتأليف كتابين هما " تربية المرأة والحجاب"[٢]، و"فصل الخطاب فى المرأة والحجاب"، هاجم فيهما الدعوة إلى تحرير المرأة وصاحبها كما أوضح موقف الرأى العام من ذلك، مبينا أن قاسم أمين لم تقم دعوته فقط على بدعه فى عادات الناس بل دعا إلى بدعة فى الدين.

ومع ذلك فإنه لم ينكر حق المرأة فى التعليم حيث أوضح "أن الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به، ولكن المشكلة كلها سواء فى رأى الذين هاجموا قاسم وهم الأغلبية أو الذين وقفوا معه وهم الأقلية أنهما يختلفان فيما ينبغى أن تتعلمه المرأة وفى طريقة التعليم والتهذيب. وقد عزز كل منهما قوله بالشرع مدعيا أن الحق والدين فى جانبه".

والواضح أن طلعت حرب فى ردوده على قاسم أمين لم يكن معارضا تماما لأفكاره، وإنما كان من دعاه التدرج فى تربية المرأة وتهذيبها وتعليمها، كما أنه كان معتدلا فى نقده لقاسم أمين وكتاباته. هذا عن الآراء المعارضة لقاسم أمين، أما بالنسبة للآراء التى ساندته فى موقفه فقد كان أبرزها وقوف أحمد لطفى السيد وصحيفته الجريدة لسان حال حزب الأمة بجوار آراء محرر المرأة.

وفى محاولة من قاسم أمين الرد على هؤلاء أصدر فى عام ١٩٠٠م كتابه الثانى "المرأة الجديدة" والذى كان أكثر وضوحا من سابقه فمع أنه ردد فيه ما ذكره فى كتابه الأول، فإنه حاول الرد على منتقديه، فعالج موضوع المرأة كفرد لها حقوق وعليها واجبات، وأنه يجب أن يمتد إليها آفاق العلم حتى تبلغ منه مبلغ الرجل، كما ضرب الأمثال بالمرأة الأمريكية التى سبقت نساء العالم فى العلم والمعرفة والاشتراك فى العمل الحكومى نظرا لأنها تخلصت من سلطة الأوهام والظنون والخرافات، وتمسكت بالحصول على حقوقها، كما ربط قاسم أمين بين الحجاب ومشكلة تربية المرأة فرأى أنه ضار بالمرأة حيث يحول بينها وبين استكمال تربيتها[٣] مما أثار البعض ودفعهم إلى اتهامه بالكفر علما بأن الحجاب كما يذكر البعض ونتفق فيه معه ليس دليلا على

---

(١)بنت النيل: سبتمبر ١٩٤٦ ، ص ٤- ٤٢ تحت عنوان: "لماذا نجحنا بأسرع ما كنا نأمل".
(٢)عبارة عن دراسة فى نحو أربعين صفحة طبعتها مكتبة التركى بالقاهرة.
(٣)قاسم امين: المرأة الجديدة، ص ٤٠- ٤٢.

الفضيلة بل ان الفضيلة توجد معه أو بغيره، وأنه ليس عنوانا للتخلف أو التفتح العقلى، فعفة المـــرأة ملكة فى النفس لا ثوب يختفى دونه الجسم[١]، وعلى أى حال فقد وجدت آراء قاسم أمين موافقة بعض المستنيرين أمثال محمد عبده لدرجة قيل معها أن بعض فقرات من كتابه "تحرير المرأة" تمت بموافقة من الشيخ محمد عبده ان لم تكن بن نبت أسلوبه[٢]، حيث عرض قاسم أمين فصول كتابه على الشيخ أثناء تواجدهما فى جنيف بصحبة سعد زغلول ولطفى السيد، وان الشيخ وافق عليها وأضاف إليها بعض الأمور الفقهية.

والمتصفح لكتابى قاسم أمين يجد أنه فى كتاب "تحرير المرأة" قام بتوضيح أن الدين ليس مسئولا عن جهل المرأة اما فى كتابه المرأة الجديدة فقد عالج الموضوع بشكل أوسع موضحا أن المرأة الجديدة ما هى إلا ثمرة من ثمرات التمدن، وان أسباب تقدمها فى أوربا أنها تحولت عن الجهالة إلى العلم مما ساعدها على استرداد حقوقها، كما يجد المتصفح لهذين الكتابين ان قضية تعليم المرأة كانت ركنا أساسيا فى دعوته، مما كان له ردود أفعال بعيدة الأثر على البلاد، فقد جمع فى هذين الكتابين كل ما استطاع أن يجمع من الحجج التى تؤكد أن من حقوق المرأة ان تتعلم، وان تزاول صناعة إذا اضطرت إلى ذلك، وان النظم العتيقة التى قيدت من حرية المرأة وأضعفت مكانتها يجـب ان تنتهى خاصة وانها اضرت بالمجتمع وأساءت إليه.

ولتحليل ما سبق ذكره حول الدعوة إلى تعليم المرأة يتضح أن رفاعة الطهطـاوى، وعلـى مبارك ومحمد عبده وعبد الله النديم كانت دعوتهم محدودة حيث نادوا بتعليم المرأة العلـم التـى يساهم فى بناء الأسرة، وتربية الأولاد أما دعوة قاسم أمين فكانت شاملة تدعو إلى نهضة المـرأة ورفع مستواها الاجتماعى ونقلها من حياة راكدة إلى حياة عاملة ترتقـى مـن خلالهـا بنفسـها ومجتمعها[٣].

وعلى الرغم من أن دعوة قاسم أمين سارت سيرا بطيئا شأنها فى ذلك شأن كـل حركـات الاصلاح الاجتماعى حيث ظلت المرأة المصرية ترتدى البرقع والحبرة وتعانى من أغلال الحجـاب التى كبلها بها المجتمع فان هذه الدعوة قد مهدت الطريق للنهضة النسائية التى حدثت فى مصر بعـد

---

(١)جلال امين: ماذا حدث للمصريين- تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ٤٥- ١٩٩٥، ص ١٥٣.
(٢)درية شفيق وابراهيم عبده: تطور النهضة النسائية فى مصر، ص ٧٤- ٧٥.
(٣)احمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك، ص ١١٣.

ذلك. فعندما افتتحت الجامعة المصرية القديمة فى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ وطرحت فكرة تعلـيم المـرأة وتثقيفها رأى بعض القائمين على أمرها الأخذ بيد المرأة المصرية والارتقاء بها علميا وأدبيا، ومـن أجل ذلك أنشأت الجامعة فى عام ١٩١٠ "فرع نسائى" لتدريس محاضرات خاصة بالسيدات تركزت فى أول أمرها على الحياة الزوجية والأسرية والمنزلية وبعض موضوعات فى التربية وعلم النفس.

ولكن هذه التجربة لم يقدر لها الدوام فمع أن معظم هذه المحاضرات كانت تلقيها نساء فقد ثارت ثائرة المحافظين وتجمع الرجال أمام الجامعة للتعرض للنساء، ومنعهن من الحضور لأن ذلك سيؤدى من وجهه نظرهم إلى خروجهن على الآداب مما يرفع عنهن صفة العفاف التى تتحلى بها كل قابعة فى المنزل، كما أرسلوا خطابات تهديد بالقتل إلى "عبد العزيز فهمى" سكرتير الجامعة عندما أرسل خطابات بالبريد إلى نساء الطبقة الراقية يدعوهن للحضور للالتحاق بالجامعة، حيث اعتبر بعض الرجال المحافظين وجود أسماء نسائية على أظرف الخطابات بمثابة العار نظرا لأن رجلا اجنبيا مثل ساعى البريد سيعرف اسماءهن، كما اعتبرها البعض الآخر من الفضائح الكبرى التى لا يمحوها إلا الدم، مما أدى إلى ايقاف التدريس بالفرع النسائى بالجامعة عام ١٢-١٩١٣[١]، وظل الحـال علـى هـذا المنوال فترة طالت إلى ما بعد أن أصبحت الجامعة تابعة للحكومة فعلى الرغم من حصول بعض الفتيات على البكالوريا التى تؤهلن للالتحاق بالجامعة فإن أبواب الجامعـة كانـت مغلقـة فـى وجوههن. ولولا مساندة بعض قادة الفكر من الرجال فى ذلك الوقت أمثال أحمد لطفى السيد وطه حسين لما تحققت للمرأة فرصة التعليم الجامعى[٢]، وقصة ذلك أنه عندما تقدمت خمـس فتيـات حصلن على البكالوريا للالتحاق بالجامعة الحكومية لم يكن الأمر سهلا فعندما عرض الدكتور طه حسين على لطفى السيد مدير الجامعة وقتذاك قبول الطالبات فى الجامعة، سأله لطفى السيد هـل قانون الجامعة يمنع دخول البنات أجابه بأن القانون يقول ان الجامعـة للمصـريين ولـم يحـدد النوع[٣]، وخشية من لفت نظر المحافظين لهذا الأمر، واعتراضـهم عليـه لـم يعـرض مـدير الجامعة على الحكومة السماح بقبول الفتيات فى الجامعة بل عمد إلى طريقة التريث والتكتم وعدم

---

(١)الجامعة المصرية:تقرير مجلس الإدارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة فى الثلاثاء٢٩ ابريل١٩١٣،ص ١٣

(٢)للتفاصيل انظر: بحثنا المرأة المصرية والتعليم الجامعى بحث ضمن مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة ، جـ١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩، ص ٥٦٨.

(٣)عبد المنعم الجميعى: المرأة المصرية والتعليم الجامعى، بحث سبق ذكره، ص ١٠٦.

ابراز الموضوع أمام الرأى العام حتى لا يعارضه فأصدر تعليمات إلى سكرتارية الجامعة تقضى بتقيد اسم كل طالب يحمل شهادات دراسية تؤهله للتعليم العالى دون اشارة إلى جنسه كذكر أو انثى وبهذه الطريقة قبلت الفتيات فى الجامعة فى غفلة من المتشددين[١]، وقد أوضح لطفى السيد ذلك فى مذكراته فقال لا أخفى أننا قبلنا الطالبات أعضاء فى الأسرة الجامعية فى غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا اختلاط الشباب باخواتهن فى الدرس.[٢]

وعلى أى حال فقد كان هذا الإجراء بمثابة ثورة فكرية وتعليمية أحدثت ضجة شديدة فى أوساط المحافظين الذين شعروا بأن هذا الحدث الجديد الذى يتزعمه لطفى السيد مدير الجامعة ويناصره فيه بعض الأساتذة أمثال طه حسين قد أجبرهم على ما لا يريدونه فأخذوا يتربصون بالجامعة فى محاولة منهم كى تتراجع عن موقفها، فانتهزوا فرصة نشر جريدة الأهرام لصورة للدكتور طه حسين فى نادى الجامعة بمناسبة النجاح الذى أحرزه مشروع القرش، وعلى يمينه ويساره بعض الطلبة والطالبات يتناولون المشروبات[٣]، واتخذوا من ذلك فرصة للنيل من الجامعة، فصعدوا الأمر إلى مجلس النواب، ورأوا فى ذلك وسيلة للهجوم على الجامعة واعتبروا ما حدث بمثابة فضيحة يجب أن تحول دونها الحكومة، ولكن سنة التطور كانت فوق هذه الضجة التى لم تؤثر فى عضد الجامعة فقد ازدادت مشاركة الطالبات فى الأنشطة الاجتماعية، وتطلعن إلى المزيد من الحرية فمارسن الألعاب الرياضية خصوصا لعبة التنس، ورغم ثورة الرأى العام على هذه الحرية التى اتيحت لفتاة الجامعة، ورغم الاحتجاجات الشديدة التى وصل مداها إلى القصر الملكى فقد استمرت المسيرة النسائية نحو المزيد من الانطلاق، وأخذ عدد الطالبات اللاتى يلتحقن بالجامعة فى التزايد.

وعلى أى حال فقد أدى دخول الفتاة المصرية الجامعة إلى إثبات وجودها وإيضاح أنها لا تقل قدرة وكفاءة عن الرجل، فقد أثبتت خريجات الجامعة من الفتيات القدرة على منافسة

---

(١)درية شفيق وابراهيم عبده: مرجع سابق، ص ٨٥- ٨٦.
(٢)أحمد لطفى السيد: قصة حياتى، ص ١٨٣.
(٣)الاهرام: العدد ١٦٩٥٩ فى ٢٣ فبراير ١٩٣٢.

الرجال فى الحصول على الدرجات العالية وتولى المناصب الأكاديمية فى الجامعة نفسها[١]، كما أوفدت الفتيات فى بعثات إلى الخارج.[٢]

وبعد أن اثبتت الفتاة الجامعية قدرتها على المساواة بالرجل كان عليها الدخول فى معركة أخرى وهى الحصول على وظيفة والخروج إلى معترك الحياة العملية والخوض فى كافة مناحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر، والتجاوب مع حركة تجديد المجتمع والتفاعل معها، والمساهمة فيما يصبوا إليه الوطن من آمال.[٣]

ومن الملفت للنظر أن قضية عمل المرأة واجه معارضة شديدة وأخذ الصراع حولها طابعا عنيفا بين التيار السلفى والتيار الليبرالى منذ بواكير القرن العشرين، فقد رأت بعض العائلات أنه من الخير للفتاة الجامعية ألا تزج بنفسها فى ميدان العمل، وانه من الأفضل بعد تخرجها الإستفادة منها بتزويجها لتكون نواه صالحة للبيت المصرى الحديث خصوصا وان مشاكل المتعلمين المتعطلين تزداد سواء إذا ما شاركت الفتاة فى الحياة العامة.[٤]

كما رأى البعض أنه لا مانع من اشتغال الفتاة بعد تخرجها لتجاهد بجانب الرجل فيستفيد منها المجتمع أكثر من ركونها إلى الحياة المنزلية.

وانتهى الأمر بنجاح التيار الليبرالى حيث حققت المرأة المصرية من تحرر وتقدم تستطيع معه القول أنها حققت تقدما فى شتى المجالات، فاقتحمت مجال العمل وزاملت الرجل فى الجامعات والمصالح الحكومية والشركات، ووصلت إلى منصب الوزارة واستطاعت كسر التبعية الاقتصادية للرجل، كما نالت حقوقها السياسية[٥] وصارت فى أحوال كثيرة ندا للرجل بل فاقته فى بعض الأحيان، كما أظهرت من التفتح العلمى ومن الثقة بالنفس ومن القدرة على التعبير عن نفسها ما يدعو إلى الإعجاب.

---

(١)الجميعى: المرأة والتعليم الجامعى، ص ١١١.
(٢)الهلال ١٩٣٧ مقال سابق ، ص ٧٠٤.
(٣)انظر بحثنا المرأة والتعليم الجامعى، سبق ذكره، ص ٥٧٢- ٥٧٤.
(٤)الدستور: العدد ٣٩٣ فى ١٦ ابريل ١٩٣٩.
(٥)نصت المادة (٣١)من دستور ١٩٥٦ على الحقوق السياسية للمرأة، كما نصت المادة ١١ من دستور ١٩٧١ على أن الدولة تكفل التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها فى المجتمع، كما نص القانون ٤١ لسنة

ومما سبق يتضح دور قادة الفكر المصرى من الرجال فى الدفاع عن حقوق المرأة فى التعليم والخروج إلى معترك الحياة، وكسر تبعيتها الاقتصادية للرجل وبقى أن نتعرض لدور القيادات النسائية فى استكمال هذه المهمة.

الملاحظ أن أغلب الباحثين الذين تصدوا لدراسة البدايات الأولى لحركة تحرير المرأة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد أغفلوا الدور الريادى الذى قامت به المرأة تجاه قضيتها علما بأن دورها لا يقل أثرا عن دور الرجل فقد دافعت "نبوية موسى" فى الصحف النسائية وغيرها عن حق النساء فى التعلم مثل الرجال ومن هذه المقالات مقال بعنوان: "تعليم البنات وعلاقته بتعليم البنين" بينت فيه أن تعليم المرأة يساعد على توسيع مداركها ومقال آخر بعنوان "الفتاة هى صانعة النشئ" أوضحت فيه ضرورة مساواة الفتيات بالفتيان فى الدور الأول من التعليم، كما ربطت بين تقدم الأمم وأوضاع المرأة موضحة بأن تقدم المرأة هو سر تقدم الأمم، واستشهدت على ذلك بأنه سر تقدم الغرب يرجع إلى أن المرأة أخذت نصيبها من التعليم .

وإلى جانب ذلك فقد قضت نبوية موسى العديد من سنوات عمرها فى خدمة تعليم البنات، وشاركت فى إلقاء محاضرات بالجامعة المصرية القديمة عقب افتتاحها.

وقامت "ملك حفنى ناصف" الملقبة بباحثة البادية بالمجاهرة بالدعوة لمذهب قاسم أمين، والقت فى هذا الموضوع سلسلة من المحاضرات قامت فيها بالدفاع عن قضية تعليم البنات خاصة بعد أن وجدت الفرصة سانحة أمامها للكتابة فى صفحات "الجريدة" بتشجيع من لطفى السيد، فحثت من خلال مقالاتها المؤثرة فى الصحف، ومحاضراتها فى الجامعة القديمة على الاستفادة من مزايا الغرب مع المحافظة على تقاليد المرأة المصرية عامة والمسلمة خاصة واستطاعت ان ترسم بشاعريتها صورة المرأة المسلوبة الحق المظلومة فى كل أدوار حياتها، ونادت بمنحها حرية اختيار نوع التعليم الذى ترغبه، كما قدمت مقترحاتها الخاصة بإصلاح أحوال المرأة من جهة التعليم والأسرة والمجتمع، وذلك من خلال لائحة عرضتها على الرأى العام تضمنت أن يتم تعليم البنات خلال دراستهن فى المرحلتين الابتدائية والثانوية الدين الصحيح المؤسس على القرآن والسنة، وجعل التعليم الأولى اجباريا، كما نادت بتعليم البنات التدبير المنزلى علما وعملا، وقانون الصحة والاسعافات الأولية، وتربية الأطفال، وعلوم

الطب وفن التدريس، واطلاق الحرية فى تعليم غير ذلك من العلوم الراقية، وفتح باب التعليم العالى لمن تستطيع منهن.[١]

وقامت "لبيبة هاشم" بالدفاع عن قضية تعليم المرأة فكتب مقالات توضح فيها أهمية القراءة والإطلاع للمرأة حتى يتم صقل أفكارها وتكوينها للأجيال الصالحة وحتى تستطيع التمييز بين ما يناسبها من الأفكار الصحيحة والعادات السليمة.

أما عن "هدى شعراوى" ابنة "سلطان باشا" رئيس مجلس النواب خلال الثورة العرابية والتى تعد من أهم رائدات الحركة النسائية فقد استطاعت أن توقد شعلة النهضة النسوية، فخرجت إلى الحياة العامة متحدية جميع العوائق التى تصدت لها لكى تحقق دعوة قاسم أمين فطالبت بتغيير أوضاع المرأة وإعلان الحرب على التقاليد الموروثة، فكانت أول من رفع الحجاب[٢]، كما أنها خرجت بجهودها إلى الحياة العامة فقادت مظاهرة النساء خلال ثورة ١٩١٩ وشكلت لجان النساء لتكون إلى جانب لجان الرجال وشجعت الفتيات على الانصراف إلى تحصيل العلم، وطالبت بضرورة تمكن المرأة من احتلال مكانتها اللائقة وإليها أيضا يرجع الفضل فى إنشاء جمعية الاتحاد النسائى المصرى عام ١٩٢٣ الذى دافع عن فكرة تعليم البنات قسط مناسب من الثقافة والتعليم وطالب فى برنامجه باصلاحات حيوية للمرأة[٣]، وإلى جانب ذلك فقد افتتحت دارا بشارع محمد على بها مشغل ومدرسة لتعليم البنات.

وهكذا يتضح أن الحركة النسائية فى مصر قادها الشريحة العليا من طبقات المجتمع المصرى خاصة من الذين تثقفوا بثقافة الغرب سواء من الرجال أو النساء وإذا كانت هذه الحركة قد وصلت بأهدافها إلى الطبقات العليا والمتوسطة فانها لم تصل الى الطبقة الدنيا من المجتمع حيث ظلت المراة بها كما كانت متمسكة بتلابيب الماضى وتقاليده.

وعلى أى حال فبالرغم من كل العواصف والاحتجاجات الصاخبة والحملات العنيفة للمعارضين لتعليم البنات فقد دار الزمن دورته، وتهيأت الأذهان لقبول فكرة تعليم المرأة، وأصبح مبدأ تعليمها مستقرا فى المجتمع المصرى قبله الجميع حتى غلاه المحافظين، وتساوى

---

(١)درية شفيق وابراهيم عبده: تطور النهضة النسائية فى مصر، ص ١٣.
(٢)أنظر مذكرات رائدة المرأة العربية هدى شعراوى، ص ٧.
(٣)المقتطف: فبراير ١٩٣٠ ، ص ٢٠٣ تحت عنوان الاتحاد النسائى المصرى.
وللمزيد من التفاصيل حول برنامج الاتحاد النسائى أنظر: أحمد خاكى: المرأة فى مختلف العصور، ص ١٣٦-١٣٨.

الرجل والمرأة فى كل فروع التعليم، واشترك البنات مع البنين فى التعليم، وأصبح التعليم المشترك فى الجامعات وغيره سمة بارزة فى حياة المجتمع المصرى، فضمت الجامعات بين جدرانها مئات الألوف من الطالبات خاصة وأن ثورة يوليو ١٩٥٢ جرفت فى محاولتها تغيير وجه المجتمع المصرى اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا تلك التقاليد والأعراف التى اوقفت حركة تطور المجتمع المصرى لفترة غير قصيرة، وانتهى زمن "سى السيد"[١]، الذى كان سائدا بين المصريين خاصة بعد أن نجحت المرأة المصرية إلى حد كبير فى كسر التبعية الاقتصادية للرجل والتى القت بظلالها على حساب الأسرة المصرية، فخرجت للعمل وكسب الرزق، ومع ازدياد أعباء المعيشة أصبح الرجل يفضل المرأة العاملة، ولكن السؤال المطروح هو هل كانت العلاقة الزوجية بين الرجل والمراة أكثر هناء قبل خروج الزوجة للعمل أو بعده، وهل كانت حياة الرجل مع أسرته أكثر استقرارا واطمئنانا منه الآن[٢]، وعلى أى حال فإن المشكلة الحالية التى يتعرض لها المجتمع المصرى هى ارتفاع نسبة الأمية خاصة بين النساء فى الريف مما يؤثر سلبا على أوضاع المرأة ويعوق مسيرتها، وهذا يستلزم اعطاء دفعة كبيرة لمحو أميتها ورفع مستوى تعليمها حتى تتمكن من القيام بدورها الفعال فى خدمة وطنها، وحتى تستطيع الحصول على حقوقها الاجتماعية كاملة ولا تعود العجلة إلى الوراء مرة أخرى.

يضاف إلى ذلك أنه لكى تستمر المرأة فى المحافظة على مكتسباتها فإن عليها أن تثبت جدارتها فى الموازنة بين ما عليها من واجبات وما لها من حقوق سواء فى البيت أو فى العمل.

(١)بطل ثلاثية نجيب محفوظ، وكان مسيطرا على زوجته أمينة المستكينة المستسلمة لاقدارها.
(٢)جلال أمين: ماذا حدث للمصريين، ص ١٥٢- ١٥٤.

ثبت المصادر والمراجع

وثائق منشورة:

الجامعة المصرية. تقرير مجلس الإدارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة فى الثلاثاء ٢٩ إبريل ١٩١٣.

المذكرات:

- أحمد لطفى السيد: قصة حياتى، القاهرة، كتاب الهلال مايو ١٩٨٢.
- مذكرات رائدة المرأة العربية هدى شعراوى، القاهرة، كتاب الهلال سبتمبر، ١٩٨١.

المؤلفات العربية:

- أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، القاهرة النهضة المصرية، ١٩٤٨.
- أحمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك، القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٠.
- أحمد خاكى: المرأة فى مختلف العصور، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- أحمد شفيق: أعمالى بعد مذكراتى، القاهرة، مطبعة مصر ١٩٤١.
- جامعة القاهرة: تقويم جامعة القاهرة ٦٩- ١٩٧٠.
- جلال أمين: ماذا حدث للمصريين، تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥-١٩٩٥، القاهرة، مكتبة الاسرة، ١٩٩٧م.
- درية شفيق وإبراهيم عبده: تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد محمد على إلى الفاروق، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٥.
- رفاعة الطهطاوى: المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين، القاهرة، مطبعة المدارس الملكية ١٢٩٢هـ.
- ستانلى لين بول: سيرة القاهرة- ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٥١.
- طلعت حرب: تربية المرأة والحجاب- القاهرة، مطبعة التركى، د.ت.

- عبد الله النديم: سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله النديم، جـ١، القاهرة، مطبعة هندية ١٩١٤.
- عبد المنعم الجميعى: المرأة المصرية والتعليم الجامعى، دراسة ضمن مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة ، جـ١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩.
  - المرأة المصرية فى عصر الجبرتى، دراسة ضمن ندوة المجتمع المصرى فى العصرين المملوكى والعثمانى التى أقامتها الجمعية التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة فى ابريل ٢٠٠٥.
  - صالون الأميرة نازلى فاضل: دراسة ضمن كتاب دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، القاهرة، مكتبة الصفا والمروة، ١٩٩٦.
  - عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٠.
- على مبارك: طريق الهجاء والتمرين على القراءة فى اللغة العربية ، جـ٢، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ.
- قاسم أمين: تحرير المرأة، القاهرة، مطبعة الترقى ١٨٨٩م.
  المرأة الجديدة، القاهرة، مطبعة المعارف ١٩٠٠م.

المؤلفات الأجنبية:

- Ronald Storrs: Orientations, London, 1937.

الدوريات:

- الأهرام فبراير ١٩٣٢.
- بنت النيل سبتمبر ١٩٤٦.
- الدستور ابريل ١٩٣٩
- اللواء يناير ١٩٠١
- المقتطف فبراير ١٩٣٠
- الهلال: مجلد ١٩٣٧.